مختصر كتاب

البناء العقدى

للشيخ / احمد بن يوسف السيد



اختصره : كريم إمام

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مختصر كتاب
البناء العقدي

للشيخ/ أحمد بن يوسف السيد

اخْتَصَرَهُ

كريم إمام

عقيدةُ المسلمِ ليستْ نُصوصًا تحفظُ،

ولا أقوالا يُجادلُ بهَا، وَإنـمَا هيَ إيمانٌ وخشوعٌ

وإخباتٌ، وعملٌ وفاعليةٌ وحياةٌ، ويقينٌ وطمأنينةٌ ورضًا.

مقدمةُ المؤلفِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ الأنبياءِ وسيدِ المرسلينَ، نبينَا محمدٍ وعلَىٰ آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، أمَّا بعدُ:

فإنهُ قدِ ارتبطَ فِي أذهانِ كثيرٍ منَ الطلابِ أنَّ العقيدةَ علمٌ جامدٌ، صعبٌ، نظريٌّ بحتٌ، لَا يلامسُ الإيمانَ، ولا يغذِّي الرُّوحَ، وأنهُ مليءٌ بأسماءِ الفرقِ والطوائفِ وَالخلافاتِ التِي إنمَّا تهمُّ المتخصصينَ أوْ طلابَ العلمِ المتقدمينَ، بينمَا كانتِ العقيدةُ التِي تلقاهَا الصحابةُ عنِ النبيِّ سهلةً، واضحةً، متينةً، راسخةً، عذبةً، شفافةً، وهيَ علىٰ سهولتهَا ووضوحهَا: فاعلةٌ حيةٌ شموليةٌ تملأُ الروحَ وتغذيهَا، وتخاطبُ العقلَ وتنميهِ، وتؤثرُ علىٰ السلوكِ والعملِ، وَلَا تبقَىٰ حبيسةَ الأذهانِ؛ حتَّىٰ جعلتْ نفوسَهُم كالجبالِ ثَباتًا، وكالشمسِ ضياءً وكالسهمِ سدادًا.

وهذَا الكتابُ يأتِي ضمنَ سلسلةِ كتبٍ بنائيةٍ منهجيةٍ موجهةٍ إلَىٰ الجيلِ الصاعدِ؛ معَ التنبيهِ إلىٰ أنَّ هذهِ المادةَ وإنْ كانتْ قدْ جُعِلتْ ضمنَ سلسلةِ الجيلِ الصاعدِ إلَّا أنهَا تصلحُ لمنْ فوقهَم كذلكَ، وأرجُو ألَّا تَحولَ هذهِ التسميةُ دونَ الاستفادةِ منها لمَنْ تجاوزُوا مرحلةَ الجيلِ الصاعِدِ.

مقدمةُ المختَصِرِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ، وبعدُ:

بينَ يَديكم مختصرٌ لكتابٍ جميلٍ ورائعٍ فِي عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ بطريقةٍ سهلةٍ ميسرةٍ، وَأسلوبٍ مميزٍ شيقٍ يشبهُ إلىٰ حدٍ كبيرٍ أسلوبِ الدكتورِ: عمرَ سليمانَ الأشقرِ رَحِمَهُ اللهُ فِي سلسلتهِ الرائعةِ عنِ الاعتقادِ، أسلوبٌ يربطُ العقيدةَ بالوعظِ والرقائقِ، وَهذَا مَا ينبغِي أنْ يكونَ فِي كلِّ الكتبِ الموجهةِ للشبابِ، بعيدًا عنِ الأسلوبِ الرتيبِ الجامدِ الذِي يجعلُ دراسةَ العقيدةَ أشبهَ بدراسةِ الرياضياتِ.

اختصرتُ هذَا الكتابَ علىٰ الرغمِ من أنَّ الكتابَ ليسَ كبيرًا جدًّا، ولكنَّنِي أحببتُ أنْ أشاركَ الأجرَ فِي انتشارِ الكتابِ بصورةٍ أخرَىٰ، لَا سيمَا لمنْ يحبونَ قراءةَ المختصراتِ.

اختصرتُ مَا أظنُّ أنهُ لم يخلَّ بالمعنَىٰ، ولم أعلقْ برأْيٍ، ولم أَتصرَّفْ في كلامٍ المؤلفِ بشيءٍ.

وأخيرًا هذَا المختصرُ وغيرهُ لَا يغنِي عنْ أصلِ الكتابِ.

واللهَ أسألُ التوفيقَ والسدادَ والقبولَ.

أَخُوكُمْ/ كَرِيمُ إِمَامٍ

مسلم، سُنِّي، مصري

غير منتمي لأي حزب أو جماعة

مهتم بالعقيدة ومقارنة الأديان

للتواصل واتس آب أَوْ تليجرام: 255766990044+

القسمُ الأوَّلُ

«مقدماتٌ عقديةٌ منهجيةٌ مهمةٌ»

أهميةُ العقيدةِ وقيمتُها
ومميزاتُ عقيدتِنَا الإسلاميةِ

أولًا: معنَىٰ العقيدةِ:

الإيمانُ الجازمُ المؤكدُ -الذِي لَا يدخلهُ الشكُّ ولَا الريبُ- باللهِ، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ، وَبكلِّ مَا أخبرَ اللهُ ورسولُهُ عنهُ من تحليلِ الحلالِ وتحريمِ الحرامِ وأمورِ الغيبِ وأصولِ الإسلامِ.

- مَا الذِي يميزُ العقيدةَ الإسلاميَّةَ عنْ بقيةِ العقائدِ؟

الجوابُ: -وبلَا شكٍّ ولَا ريبٍ- هوَ: أننَّا نمتلكُ منَ الدَّلائلِ والبراهينِ والحججِ التِي تثبتُ صحةَ عقيدتنَا ممَّا لَا يمتلكونهُ هم لعقيدتِهِمْ.

- إذَا كانَ لدَىٰ اليهودِ والنصارَىٰ وغيرِهِم عقيدةٌ، فمَا الفرقُ بينَ عقائدهم وبينَ عقيدَةِ أهلِ الإسلامِ؟

■ الفرقُ الأوَّلُ:

امتلاكُ الأدلةِ الواضحةِ علىٰ صحةِ (أُصولِ العقيدةِ)

إنَّ الأدلةَ التِي يستدلُ بهَا المسلمونَ لإثباتِ أنَّ الإسلامَ

صحيحٌ، لَا تُقارنُ أبدًا بالأدلةِ التِي يستدلُ بهَا اليهودُ أو النصارَىٰ علَىٰ صحةِ أديانِهِمْ، وإنَّ من أعظمِ مَا يفتخرُ بهِ المسلمونَ أنهُ بإمكانهم إثباتَ الدليلِ علَىٰ صحةِ كلِّ أصلٍ من أصولِ اعتقادهِم دونَ أنْ يستطيعَ الآخرونَ ذلكَ.

■ **الفرقُ الثانِي:**

البرهانُ الذاتيُّ- أَي: مَضمونُ القرآنِ وَدلالتُهُ علىٰ صحةِ الإسلامِ-؛ بعكسِ الكتبِ الأخرَىٰ.

كتبَ الدكتورُ **محمدُ عبدُ اللهِ دراز** كتابًا فِي غايةِ الروعةِ والجمالِ، عنوانُهُ **(النبأُ العظيمُ)** وَهدفهُ أنْ يَشرحَ:

لِمَاذا القرآنُ كلامُ اللهِ وَليس كَلامَ البَشرِ؟

وَمِمَّا قالَ فِي ذلكَ: «**هذَا الكتابُ الكريمُ يأبَىٰ بِطبيعتهِ أنْ يكونَ من صنعِ البشرِ، وينادِي بلسانِ حالِهِ أنهُ رسالةُ القضاءِ والقدرِ؛ حتَّىٰ إنهُ لَو وُجِدَ مُلقًى فِي صحراءَ لأيقنَ الناظرُ فيهِ أنْ ليسَ من هذهِ الأرضِ منبعُهُ ومنبتُهُ، وإنَّمَا كانَ من أفقِ السماءِ مطلعُهُ ومهبطُهُ**»[(١)].

ثمَّ أخذَ يفصِّلُ الأدلةَ التِي نستدلُّ بهَا من بلاغةِ القرآنِ علىٰ أنهُ خارجُ قدرةِ البشرِ، وحينَ تقرأُ لهُ يقشعرُ جلدكَ منَ الدلائلِ والبيناتِ والبراهينِ.

(١) ينظر: «النبأ العظيم» (ص ١٠٦).

وإذَا كانَ الدكتورُ الدرازُ قدْ ركَّزَ علىٰ الجانبِ البَلاغِيِّ، فإنَّ دلالةَ القرآنِ من جهةِ مضمونِهِ علَىٰ أنهُ ربانيُّ المصدرِ كثيرةٌ، ليستْ مُنحصرةً فِي الجانبِ البلاغيِّ، بينمَا إذَا اطَّلعتَ علىٰ مضامينِ كتبِ الدياناتِ الأخرَىٰ ستجدُ أشياءَ غريبةً مستنكرةً، تدلُّ علىٰ أنَّ هناكَ تحريفًا طالَ شيئًا منها، معَ العلمِ بأننَا نؤمنُ أنَّ اللهَ أنزلَ التوراةَ علىٰ مُوسَىٰ، والإنجيلَ علىٰ عيسَىٰ ﷺ، ولكننَا نَعتقدُ كذلكَ بأنهمَا قدْ حُرِّفَا، وَالأدلةُ علىٰ تَحريفهمَا كثيرةٌ جدًّا، وقدِ استدلَّ علماءُ المسلمينَ قديمًا علىٰ تحريفِ كتبِ اليهودِ والنصارَىٰ من خلالِ دراسةِ النصِّ نفسهِ، وإثباتِ الإشكالاتِ الموجودةِ فيهِ.

ومنَ الكتبِ المعاصرةِ فِي ذلكَ، كتابُ: «**هلِ العهدُ الجديدُ كلمةُ اللهِ؟**» للدكتورِ: مُنذرٍ السقَّارِ.

مثالٌ علَىٰ التناقضِ: هناكَ موضعانِ فِي الكتابِ المقدَّسِ -الذِي يجمعُ التوراةَ والإنجيلَ- يتكلمانِ عنْ رجلٍ واحدٍ -واسمُهُ (**أخزيَا**)- بمعلومتينِ مختلفتينِ متناقضتينَ.

الموضوعُ الأولُ فيهِ: أنَّ عُمرَ هذَا الرجلِ اثنانِ وعشرونَ سنةً[1].

(١) سفر الملوك الثاني (٨/ ٢٦). «وَكَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي مَلِكِ إِسْرَائِيلَ».

والموضوعُ الثانِي: عنْ نفسِ الرجلِ وعلَىٰ نفسِ الحدثِ، وفيهِ أنّ «عمرَهُ اثنتانِ وأربعونَ سنةً»[(١)].

وَهذَا تناقضٌ غيرُ محتمَلٍ، ومِنْ أشهرِ الأقوالِ عندَ النصارَىٰ فِي حلِّ هذهِ المشكلةِ هوَ أنَّ الناسخَ أخطأَ وهوَ يكتبُ فِي أحدِ الموضِعين، هكذَا بكلِّ بساطةٍ! أنَا لَا أتحدثُ عنْ طبعةٍ مَعينةٍ فِيهَا هذَا الخَطأُ، وإنمَا فِي الأصلِ.

تخيَّل أنْ يحصلَ عندنَا مثلهُ فِي القرآنِ؛ فنقولُ: الصحابةُ وهم يكتبونَ المصحفَ أخطؤُوا فِي كتابةِ الآيةِ الأولَىٰ، ولم يكتبوهَا بشكلٍ صحيحٍ! هلْ ستثقُ فِي القرآنِ؟!

■ **الفرقُ الثالثُ**:

وضوحُ العقيدةِ وموافقتهَا للعقلِ والفطرةِ

حينَ يؤمنُ النصرانيُّ بأنَّ اللهَ ثلاثةٌ وواحدٌ فِي نفسِ الوقتِ! فإنَّ هذَا أمرٌ لَا يمكنُ تصديقُهُ إلَّا بإكراهِ العقلِ علىٰ قَبولِ المستحيلِ! وَحينَ يقولُ اليَهوديُّ: إنَّ اللهَ واحدٌ؛ ولكنْ صفاتُهُ مُنَافيةٌ لِلأُلوهيةِ، كمَا نَجدُ فِي كتابِهِمْ!!

ولكنْ .. حينَ تسألُ عنْ صفاتِ اللهِ فِي القرآنِ ستجدُ الشفاءَ والعظمةَ والكمالَ، تجدُ الوضوحَ والبهاءَ والجمالَ، اقرأْ

(١) سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢/ ٢) «كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي».

معِي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

وهذهِ من سماتِ العقيدةِ الإسلاميةِ وخصائصِهَا؛ أنهَا عقيدةٌ واضحةٌ فطريةٌ تجعلكَ تُعظِّمُ هذَا الدينَ، وتطمئنُّ إليهِ، وقدْ ذكرتُ فِي كتابِي: «**محاسنِ الإسلامِ**» شيئًا يخصُّ هذَا الموضوعَ، قلتُ فيهِ: «**لَا يوجدُ تراثٌ لأمةٍ منَ الأممِ المتدينةِ فيهِ تعظيمٌ للإلهِ الخالقِ سبحانهُ، وتنزيهٌ لهُ عنِ النقائصِ وعمَّا لَا ينبغِي أنْ يكونَ عليهِ كمَا يوجدُ فِي القرآنِ الكريمِ، وفيمَا صحَّ عنِ النبيِّ محمدٍ منَ الأحاديثِ**». ولذلكَ فإنَّ الإسلامَ قدْ تميزَ علَىٰ سائرِ الدياناتِ بوضوحِ العقيدةِ فِي (الإلهِ).

مَا الفائدةُ المترتبةُ علىٰ وجودِ العقيدةِ الصحيحةِ الثابتةِ؟

أولًا: سعادةُ العبوديةِ للهِ:

إنَّ أولَ شيءٍ يُبدأُ بهِ فِي محاسنِ العقيدةِ الإسلاميةِ أنهَا تجعلُ صاحبَها يعيشُ سعادةَ العبوديةِ للهِ تعالَىٰ، فإنَّ أجملَ شيءٍ فِي هذَا الوجودِ هوَ تذوقُ لذةِ التعبدِ لخالقِ كلِّ شيءٍ، وهذهِ اللذةُ لَا تشبههَا لذةٌ أخرَىٰ أبدًا، لَا لذةُ المالِ وَلا لذةُ الملكِ، وَلَا لذَّةُ الشهواتِ عمومًا؛ ولذلكَ قالَ من قالَ مِن عُبَّادِ المسلمينَ: «**لَو**

يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ مَا نحنُ فيهِ لجالَدونَا عليهِ بِالسيوفِ».
يقصدُ مَا هم فيهِ من لذةِ التعرفِ علىٰ اللهِ، والتعبدِ لهُ؛ كمَا قالَ ابنُ القيمِ: «**فإنهُ لَا نعيمَ لهُ ولَا لذةَ، وَلَا ابتهاجَ، وَلَا كمالَ، إِلَّا بمعرفةِ اللهِ ومحبتِه، والطمأنينةِ بذكرِه، والفرحِ والابتهاجِ بقربِهِ، والشوقِ إلىٰ لقائهِ، فهذِهِ جنتهُ العاجلةُ**»[1].

ثانيًا: الصبرُ علىٰ مصائبِ الدنيَا وكوارثِهَا ومصاعِبهَا:

حينَ تكونُ حدودُ الإنسانِ ضيقةً؛ كأنْ يكونَ كلُّ هدفهِ فِي الحياةِ اكتسابَ المالِ، أوِ البقاءَ معَ حبيبٍ؛ فإنهُ إذَا أصيبَ بمصيبةٍ متعلقةٍ بالمالِ أوِ الحبيبِ فإنهُ سيفقدُ كلَّ شيءٍ؛ لأنَّ حدودهُ متعلقةٌ بأشياءَ محدودةٍ صغيرةٍ قريبةٍ، فمَا الذِي سَيصبِّرُهُ؟ ومَا الأملُ البَاقِي لديهِ؟

ولكنْ حينَ تكونُ حدودُهُ عاليةً سماويَّةً تتطلعُ إلىٰ عرشِ الرحمنِ، ومصاحبةِ الرسولِ ﷺ فِي الجنةِ فإنَّ تأثيرَ المصائبِ الدنيويةِ عليهِ -مهمَا كانَ مُؤلمًا- فَسيبقَىٰ محدودًا؛ لأنهُ لم يفقدْ كلَّ شيءٍ، وقدْ قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]؛ أَي: إنَّ الذِي يكونُ عندهُ إيمانٌ وتوكلٌ وعقيدةٌ فإنَّ اللهَ يهدِي قلبَهُ للرضَا حينَ تصيبُه مصيبةٌ.

---

(١) ينظر «مدارج السالكين» (٢٣٩-٤٠) ط: طيبة.

ثالثًا: معرفةُ النفسِ وَالخالقِ والغايةِ:

أَي: أَنْ يعرفَ الإنسانُ مَن هوَ؟ وَمَن خالقُهُ؟ وَلِماذا هوَ موجودٌ؟ وَإِلَىٰ أينَ المصيرُ؟

وهذهِ الأسئلةُ بَدهيَّةٌ سهلةٌ إلَّا أنهَا من أصعبِ الأسئلةِ علَىٰ من لَا يمتلكُ العقيدةَ، كالملحدِ مثلًا.

رابعًا: ضبطُ الأخلاقِ:

إنَّ الإنسانَ الذِي يؤمنُ إيمانًا جازمًا بأنَّ اللهَ سيحاسبُهُ علىٰ أقوالهِ وأفعالهِ، وسيجازيهِ علىٰ نيَّتِهِ وقصدِهِ، فإنَّهُ سيضبطُ تصرفاتِهِ، ويحسبُ أعمالَهُ، ويعرفُ أينَ يضعُ خُطواتِه، بينَما يقلُّ الوازعُ عندَ غيرِ المؤمنِ؛ فَلَا يحسبُ تصرفاتِهِ كثيرًا.

القسمُ الثانِي

أركانُ الإيمانِ وركائزُهُ وبراهينُهُ

أركانُ العقيدةِ والإيمانِ

مُقَدِّمَة

معالمُ الدينِ مكونةٌ من ثلاثِ دوائرَ أساسيةٍ؛ **وهيَ**:

١- دائرةُ الإسلامِ.

٢- دائرةُ الإيمانِ.

٣- دائرةُ الإحسانِ.

وهذهِ الدوائرُ مستفادةٌ من حديثِ النبيِّ ﷺ فِي قصةِ جبريلَ المشهورةِ، وسأذكرهُ ثمَّ أذكرُ بعضَ الفوائدِ منهُ، ثمَّ أبدأُ بعدَ ذلكَ بأركانِ الإيمانِ معَ ركائزهَا ودلائلهَا بإذنهِ تعالَىٰ.

نصُّ الحديثِ:

عنْ عمرَ رضي الله عنه؛ قالَ: بينمَا نحنُ جلوسٌ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ إذْ طلعَ علينَا رجلٌ، شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشعرِ، لَا يُرىٰ عليهِ أثرُ السَّفرِ، وَلَا يعرفهُ منَّا أحدٌ، حتَّىٰ جلسَ إلَىٰ النبيِّ ﷺ، فأسندَ رُكبتيهِ إلَىٰ ركبتيهِ، ووضعَ كفَّيهِ علىٰ فَخذيهِ، وَقالَ: يَا محمدُ أخبرنِي عنِ الإسلامِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الإسلامُ أنْ تشهدَ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا**

رسولُ اللهِ، وتقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليهِ سبيلًا»، قالَ: صَدقتَ، قالَ: فَعجبنَا لهُ يسألهُ، وَيُصدِّقهُ، قالَ: فَأخبرنِي عنِ الإيمانِ، قالَ: «**أنْ تُؤمنَ باللهِ، وَملائكتهِ، وَكتبهِ، وَرسلهِ، وَاليومِ الآخِرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خيرهِ وشرِّهِ**»، قالَ: صَدقتَ، قالَ: فَأخبرنِي عنِ الإحسانِ، قالَ: «**أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنهُ يَراكَ**»، قالَ: فأخبرنِي عنِ الساعةِ، قالَ: «**مَا المسؤولُ عنهَا بأعلمَ منَ السائلِ**» قالَ: فَأخبرني عَن أمارتِهَا، قالَ: «**أنْ تلدَ الأمةُ ربتهَا، وأنْ ترَىٰ الحفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشَّاءِ يتطاولونَ فِي البنيانِ**»، قالَ: ثمَّ انطلقَ فلبثتُ مليًّا، ثمَّ قالَ لِي: «**يَا عمرُ أتدرِي منِ السائلُ؟**» قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: «**فإنهُ جِبريلُ أتاكُم يعلمكُم دينكمْ**»[(١)].

قالَ الإمامُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ عنْ هذَا الحديثِ: «**هوَ حدِيثٌ عظيمٌ جدًّا، يشتملُ علىٰ شرحِ الدينِ كلِّهِ؛ ولهذَا قالَ النبيُّ ﷺ فِي آخرهِ: «فإنهُ جبريلُ أتاكم يعلمكُم دينَكُمْ». وهوَ حديثٌ يُبينُ أسسَ الإسلامِ وقواعدَهُ العظامَ بطريقةٍ جميلةٍ، وأسلوبٍ حسنٍ، وحدثٍ مشوِّقٍ**».

(١) أخرجه مسلم (٨).

الإيمانُ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ:

هذَا الحديثُ يبينُ أركانَ الإيمانِ، ومعالمَ الإسلامِ، وصفةَ الإحسانِ، وقدْ تقررَ فِي عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ.

علاقةُ الكتابِ بحديثِ جبريلَ:

هذَا؛ وإنَّ حديثَ جبريلَ مليءٌ بالفوائدِ والعِبرِ، ولا يتَّسعُ المقامُ فِي هذَا الكتابِ للتعليقِ عليهَا كلِّهَا، وَلَا علىٰ شرحِ دوائرِ الدينِ الثلاثِ بالتفصيلِ، وإنمَا سأركِّزُ علَىٰ الدائرةِ الثانيةِ؛ وهيَ دائرةُ الإيمانِ معَ التعرضِ لشيءٍ ممَّا لهُ علاقةٌ بالدوائرِ الأخرَىٰ.

❀ ❀ ❀

أركانُ الإيمانِ

الركنُ الأولُ

الإيمانُ باللهِ

الإيمانُ باللهِ ﷻ هوَ أصلُ الأصولِ، وَمَا يليهِ منَ الأركانِ إنمَّا هوَ فرعٌ عنِ الإيمانِ بهِ، فهوَ الذِي أخبرنَا بالملائكةِ والرسلِ واليومِ الآخرِ والقدرِ، فبدونِ الإيمانِ بهِ لَا يُمكنُ الإيمانُ ببقيةِ الأركانِ.

أولًا: وجودُ اللهِ ﷻ وكمالهُ وربوبيتُهُ:

إنَّ المعرفةَ بوجودِ خالقٍ للإنسانِ لَا تتطلبُ استدلالًا طويلًا، ولا فلسفةً معقدةً، ولا طرائقَ مشتبكةً، بلْ إنَّ «إثباتَ وجودِ اللهِ ﷻ أمرٌ فطريٌّ عقليٌّ قريبٌ، لَا يُجهدُ العقلَ فِي الأصولِ؛ إذْ إنهُ قائمٌ علَىٰ مبدأٍ يجدهُ الإنسانُ مركوزًا فِي عقلهِ؛ بحيثُ لَا يمكنُ التخلِّي عنهُ البتةَ؛ وهوَ مبدأُ: **«الاستدلالِ بالأثرِ علىٰ المُؤثِّرِ»**، بلْ إنَّ عامةَ المُلحدِينَ الذينَ يتنكَّرونَ لوجودِ الخالقِ سبحانهُ يُطبقونَ هذَا المبدأَ فِي سائرِ أمورِ حياتهمْ، وإنْ أنكروهُ فِي بابِ الأُلوهيَّةِ».

حينَ تفكرُ فِي جهازِ التَّخزينِ للمعلوماتِ: (usb) فإنكَ تتعجبُ كيفَ استطاعَ الإنسانُ أنْ يصنعَ شيئًا صغيرًا يمكنهُ تخزينُ معلوماتٍ هائلةٍ؟ وكلَّمَا زادَ صغرُ الجهازِ وسعةُ تخزينهِ فإنَّ الإنسانَ

يزدادُ تعجُّبًا ودهشةً، ويزدادُ اعترافًا لصانعِ الجهازِ بالعلمِ والخبرةِ والإتقانِ، ولَو لم يعرفْ أسماءَ المُصنِّعينَ وَلَا الشركةَ المنتجةَ.

حسنًا، هلْ تعلمُ أنَّ فِي جسمكَ أجهزةَ تخزينِ معلوماتٍ هيَ أصغرُ بآلافِ المراتِ منَ الـ (usb)، وفِي نفسِ الوقتِ تخزنُ أضعافَ المعلوماتِ التِي تخزنهَا تلكَ الأجهزةِ التِي من صنعِ البشرِ؟! اقرأْ فِي علمِ الأحياءِ عنِ الجيناتِ وَمَا تحويهِ داخلهَا ومَا يمكنُ تخزينُهُ فِي الـ (dna)؛ لتتعجبَ وتُسبِّحَ بحمدِ اللهِ، وتشهدَ أنْ لَا إلهَ إلَّا هو!

ولمِنْ أرادَ الاستزادةَ فِي بابِ وُجودِ اللهِ وَآياتهِ فِي الإنسانِ وَالكونِ، فَليطالعْ مَا يلِي:

كتابَ: «بَراهينِ وُجودِ اللهِ»، للدكتورِ سَامِي عامريٍّ.

وكتابَ: «ستةِ أرقامٍ فقطْ»، لمارتِنْ ريس.

دلالةُ الفطرةِ علىٰ وجودِ اللهِ:

تدلُّ الفطرةُ البشريةُ علىٰ وجودِ الخالقِ ﷻ من ثلاثِ جهاتٍ:

الجهةُ الأولَىٰ: أنَّ هناكَ معارفَ أوليةً ضروريةً حاصلةً لكلِّ البشرِ، لم يتعلموهَا فِي مدرسةٍ، ولم يتلقوهَا فِي جامعةٍ، وإنمَا وُلدتْ معهمْ، وغُرستْ فِي عقولِهِمْ؛ كمعرفةِ أنَّ **الحادثَ لَا بدَّ لهُ من مُحدِثٍ**، وأنَّ **الجزءَ أصغرُ منَ الكلِّ**، وهذهِ المعارفُ يُستدلُّ

بهَا علىٰ وجودِ اللهِ ﷻ من طريقينِ:

الطريقُ الأول: من جهةِ النظرِ والاستدلالِ؛ وذلكَ بأنْ يَنظرَ فِي الكونِ والإنسانِ والمخلوقاتِ، فَيعلمَ بأنهَا حادثةٌ، ثمَّ نستدلُّ بالمعرفةِ الفطريةِ القائلةِ بأنَّ: «**لكلِّ حادثٍ مُحدِثٌ**» علىٰ أنَّ للكونِ والمخلوقاتِ مُحدثًا خالقًا وهوَ اللهُ ﷻ.

الطريقُ الثانِي: أنَّ مجرَدَ وجودِ هذهِ الغرائزِ المعرفيَّةِ الفطريَّةِ يدلُّ علىٰ أنَّ هناكَ من أودعهَا فِي نفسِ الإنسانِ؛ لأنهَا لم تحصلْ عنِ اكتسابٍ وَلا عنْ تعلُّمٍ، وهذَا دليلٌ علَىٰ وجودِ الخالقِ ﷻ.

الجهةُ الثانيةُ من دَلالةِ الفطرةِ: ضرورةُ الافتقارِ والتعبدِ، أوِ الاعترافُ النفسيُّ الضروريُّ بالحاجةِ إلىٰ الخالقِ ﷻ؛ إذْ إنَّ فِي فطرةِ الإنسانِ افتقارٌ ذاتيٌّ إلىٰ قوةٍ غيبيَّةٍ كاملةٍ غنيَّةٍ يرجُو منها الإنسانُ النفعَ، ويستدفعُ بهَا الضرَّ، ويتذللُ لهَا، وخاصةً عندَ الشدائدِ؛ ولذلكَ تجدُ أنَّ الأممَ كلَّهَا من قديمِ الزمانِ وَفِي مختلفِ البلدانِ لهَا أماكنُ للعبادةِ؛ ولذلكَ فإنَّ الرسلَ حينَ بُعثُوا إلىٰ أقوامِهم لم يكنْ محورُ رسالتِهم إثباتَ وجودِ الخالقِ؛ -لأنَّ الأممَ كانتْ تقرُّ بذلكَ فِي الجملةِ، وإنْ كانَ بعضُ الناسِ قدْ يحتاجُ إلىٰ تذكيرٍ بهذهِ الحقيقةِ الفطريةِ-، وإنمَا كانَ محورُ رسالتِهمُ: الدعوةَ إلىٰ إفرادِ اللهِ ﷻ بالعبادةِ، والتخلُّصَ من عبادةِ كلِّ مَن سِواهُ.

الجهةُ الثالثةُ: الغرائزُ والأخلاقُ؛ وذلكَ أننَا نرَىٰ فِي الإنسانِ والحيوانِ غرائزَ فطريةً غيرَ مكتسبةٍ منَ المجتمعِ ولَا منَ

البيئةِ، وإنمَا هيَ ممَّا أُودعَ فِي غيرِ كسبٍ منهُ، فَأنتَ تشاهدُ بعضَ الحيواناتِ عندَ ولادتهَا تتجهُ مباشرةً إلىٰ الضّرعِ باحثةً عنِ اللبنِ، من غيرِ أنْ تكونَ الأمُّ هي التي تُوجهُها إليهِ، وأنتَ ترَىٰ الرضيعَ إذَا ألقمتهُ أمُّهُ ثديهَا عرفَ كيفَ يمصُّهُ ويستخرجُ اللبنَ منهُ، وكذلكَ غريزةُ ميلِ الجنسينِ أحدِهمَا إلىٰ الآخرِ، وَغريزةُ النكاحِ، وَحبِ الولدِ، وغيرِ ذلكَ منَ الغرائزِ الكثيرةِ جدًّا.

ومنَ الغرائزِ التِي أُودِعتْ في الإنسانِ: القيمُ الأخلاقيَّةُ الفاضلةُ؛ كَاستحسانِ الصدقِ، والعدلِ، وَاستبشاعِ الظلمِ والقتلِ وتعذيبِ الأطفالِ، ونحوِ ذلكَ.

إنَّ وجودَ الخيرِ فِي نفسِ الإنسانِ لَا يمكنُ أنْ يُفهمَ فِي دائرةِ العبثيَّةِ والعشوائيَّةِ؛ وإنمَا يتمُّ فهمهُ باتساقٍ وانتظامٍ تحتَ مظلَّةِ الإيمانِ بوجودِ الخالقِ المدبِّرِ ﷻ، الذِي خلقَ النفوسَ وألهمهَا فجورَهَا وتقوَاهَا[١].

ثانيًا: أسماءُ اللهِ وصفاتُهُ

معانِي الأسماءِ الحُسنَىٰ:

إنَّ الحديثَ عنْ أسماءِ اللهِ وصفاتِهِ حديثٌ عظيمٌ جميلٌ؛ لأنهُ يُعرفنَا باللهِ ﷻ، وإنَّ منَ المهمِّ لشبابِ الجيلِ الصاعدِ أنْ يتعرفُوا علىٰ معانِي الأسماءِ الحسنَىٰ، ويحفظُوهَا، ويتأمَّلُوا فيهَا؛ ليتعبَّدُوا اللهَ ﷻ بهَا، فَتزيدَهم له حبًّا، ومنهُ قربًا.

---

(١) سابغات (٧٠-٧٣) باختصار.

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرشدنَا إلىٰ أنْ ندعوَه بها فقالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَمنْ سبلِ إحسانِ الدعاءِ بهَا أنْ نعرفَ معانيَها، وأنْ نعرفَ استعمالاتِ الأنبياءِ لهَا، فالأنبياءُ إذَا دَعَوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنهم يَدعونهُ بأسمائهِ وصفاتِهِ، وهم أعلمُ الناسِ باللهِ، وأعرفُهُم بطريقةِ استعمالِ الأسماءِ الحسنَىٰ فِي الدعاءِ، فإذَا أردنَا أنْ ندعُوَ اللهَ دعاءً نرجُو إجابتَهُ فلنتعلَّم هديَ الأنبياءِ فِي الدعاءِ، وَلنتأسَّ بهمْ، فإنَّ ذلك مظنَّةُ الإجابةِ.

حفظُ الأسماءِ الحسنَى وإحصاؤهَا

ثبتَ عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «**إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا مِائةً إلَّا واحدًا، من أحصاهَا دخلَ الجنَّةَ**»[1]. قالَ الإمامُ النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابهِ «المِنهاجِ»: «فاختلفُوا في المُرادِ بإحصائهَا:

* فقالَ البخاريُّ وغيرهُ من المحققِينَ: معناهُ: حفظُهَا.

* وقيلَ: أَحصاهَا: عدَّها فِي الدعاءِ بهَا.

* ومنَ العلماءِ من رجَّحَ معنَىٰ العملِ بمقتضَاهَا بالإضافةِ إلىٰ حفظهَا».

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٣٦)، «صحيح مسلم» (٢٦٧٧).

تعيينُ الأسماءِ الحسنَى

لَا يصحُّ عنِ النبيِّ ﷺ عدُّ الأسماءِ التسعةِ والتسعينَ، وإنمَّا اجتهدَ العلماءُ فِي استخراجهَا، وأمَّا مَا وردَ فِي بعضِ رِواياتِ الحديثِ عندَ الترمذيِّ من عدِّ الأسماءِ الحسنَىٰ، ونسبتِهِ إلىٰ النبيِّ ﷺ فليسَ بصحيحٍ.

قالَ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**تعيينُها ليسَ من كلامِ النبيِّ ﷺ باتفاقِ أهلِ المعرفةِ بحديثِه**»[(١)].

وتجدرُ الإشارةُ هنَا إلىٰ أنَّ أسماءَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليستْ محصورةً فِي هذَا العددِ كمَا ذكرَ العلماءُ.

الاختلافُ بينَ المذاهبِ فِي تأويلِ الأسماءِ والصفاتِ:

هاهنَا ملاحظةٌ فِي غايةِ الأهميةِ؛ ألَا وهيَ: أنَّ الكلامَ فِي الأسماءِ والصفاتِ قدْ أخذَ منحًى جدليًّا عندَ كثيرٍ منَ الطوائفِ فِي التاريخِ الإسلاميِّ؛ بتأثرٍ من ثقافاتٍ وعلومٍ أخرَىٰ خارجةٍ عنِ الصفاءِ الإسلاميِّ بعدَ أنْ تمتْ ترجمةُ الفلسفةِ والثقافةِ اليونانيةِ علىٰ وقتِ المأمونِ -الخليفةِ العباسيِّ-، فصارَ أولُ مَا يقفزُ فِي الذهنِ -إذَا ذُكرَ بابُ الأسماءِ الحسنَىٰ- هوَ الخلافَاتِ العقديَّةَ الجدليَّةَ الواقعةَ فِي هذَا البابِ بينَ الطوائفِ الإسلاميَّةِ، وهذَا

---

(١) «الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٢).

بلا شكٍّ خلافُ المقصدِ الشرعيِّ الذِي لأجلِهِ ذكرَ اللهُ ﷻ أسماءَهُ وصفاتِهِ فِي كتابهِ العزيزِ.

ونحنُ إذَا رجعنَا إلَىٰ وقتِ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ نرَىٰ أنهم لم يتعاملُوا معَ الأسماءِ والصفاتِ بغيرِ مبدأِ التعظيمِ والتسليمِ، ولم يضعُوا قوانينَ معارضةً للنصوصِ، سواءٌ سمِّيت: قوانينَ عقليةً، أوْ غيرَ ذلكَ؛ وإنمَا تعاملُوا معَ هذهِ النصوصِ كمَا يتعاملونَ معَ سائرِ نصوصِ القرآنِ الكريمِ الواردةِ فِي الأحكامِ والتشريعاتِ وَالأخبارِ، فلم يكونُوا يتكلفونَ فِي معانيهَا أشياءَ غيرَ مَا يدلُّ عليهِ كلامُ العربِ، ولم يقولُوا إنَّ نصوصَ الصفاتِ الإلهيةِ منَ المتشابهِ الذِي لَا يُفهمُ، ولَم يَقولُوا إننَا نحتاجُ أنْ نأتيَ بمعانٍ خفيةٍ لنفسرَ بهَا ظاهرَ الآياتِ؛ وذلكَ أنهم يعلمونَ أنَّ القرآنَ بَيانٌ للناسِ، وأنهُ جاءَ ليعرفهم بخالقِهِمْ، وليسَ ليضعَ الألغازَ والأحجياتِ فِي العقيدةِ ليأتيَ المتأخرونَ فَيُحاولُوا حلَّهَا.

ويقولونَ كذلكَ: إنَّ الرسولَ ﷺ جاءَ مُبينًا للقرآنِ، مُفسرًا لهُ، شارحًا للناسِ مَا يريدهُ اللهُ منهم، وهوَ فِي نفسِ الوقتِ حريصٌ علىٰ المؤمنينَ، يريدُ هدايتهُم وإرشادَهم وَتعليمَهم، معَ امتلاكهِ لأدواتِ البيانِ والقدرةِ علىٰ إيصالِ الحقِّ، فلَو كانَ يريدُ منَّا أنْ نتعاملَ معَ نصوصِ الأسماءِ والصفاتِ بطريقةٍ تأويليَّةٍ خاصةٍ لأرشدنَا إلَىٰ ذلكَ، خاصةً وأنَّ نصوصَ الصفاتِ كثيرةٌ جدًّا فِي القرآنِ الكريمِ.

قالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، فنحنُ نفهمُ منَ هذَا النصِّ مَا فهمهُ الصحابةُ وبلَّغُوه؛ وهوَ إثباتُ المحبةِ للهِ ﷻ، وأنها محبةٌ تليقُ بجلالِه؛ لأنهُ ﷻ لَا يشبهُه شيءٌ، وَهذَا هوَ المعنَىٰ العربيُّ الواضحُ الموافقُ للشريعةِ، بينمَا نجدُ أنَّ بعضَ الفرقِ والطوائفِ وقفتْ من هذَا النصِّ وأمثالِه موقفًا متكلَّفًا جدًّا؛ فقالُوا: «**المحبةُ؟! المحبةُ لَا يمكنُ أنْ نَنسبُهَا إِلَىٰ اللهِ كصفةٍ، لأنهَا ميلُ القلبِ إلىٰ المحبوبِ، وهذَا لَا يليقُ باللهِ، فَنُؤَوِّلهَا إلىٰ غيرِ ذلكَ**»، وتجدُهم فِي نفسِ الوقتِ يُثبتونَ للهِ صفةَ الإرادةِ! وَيقولونَ: نُثبتُ إرادةً لَا تُشبهُ إرادةَ المخلوقينَ.

ونحنُ نقولُ لهمْ: كذلكَ محبةُ اللهِ لَا تشبهُ محبةَ المخلوقينَ، فَلَا نقولُ فيهَا غيرَ مَا قالَ اللهُ فيهَا بدلالةِ اللسانِ العربيِّ، فاللهُ يحبُّ التوابينَ، فمنْ كانَ توَّابًا أحبهُ اللهُ، والمحبةُ معروفةٌ لا تحتاجُ إلىٰ تفسيراتٍ متكلفَةٍ للتنفيرِ منَ التصديقِ بهَا! وهكذَا فِي بقيةِ نصوصِ الأسماءِ والصفاتِ، معَ الاعترافِ الدائمِ بأننَا لَا ندركُ كيفيَةَ هذهِ الأسماءِ والصفاتِ فِي خلقِ اللهِ ﷻ؛ لأنَّ اللهَ أعظمُ من أنْ يُحيطَ أحدٌ بحقيقةِ ذاتهِ، أوْ حقيقةِ أسمائهِ وصفاتهِ، ومعَ الاعترافِ الدائمِ بأنَّ إثباتَ الصفاتِ للهِ محكومٌ بقانونٍ ذَكرهُ اللهُ فِي القرآنِ؛ وهُو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

فاللهُ ﷻ يسمعُ ويبصرُ ويتكلمُ ولهُ صفاتُ الجلالِ، ولَا يشبهُ شيئًا من خلقِهِ ﷻ، وأمَّا الذِي لَا يسمعُ ولا يُبصرُ فهوَ إلهُ المشركينَ وليسَ ربَّ العالمينَ، ألم يقلْ إبراهيمُ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـًٔا﴾ [مَرْيَمَ: ٤٢].

ثالثًا: الألُوهيَّةُ

والمقصودُ بالألوهيَّةِ هنَا؛ أَي: إفرادُ اللهِ ﷻ بالتعبدِ، بألَّا يُعبدُ إلَّا هوَ، وَلا يُسجدُ إلَّا لهُ، ولَا يستغاثُ إلَّا بهِ، وَلَا يُتوكَّلُ إلَّا عليهِ، فإذَا كانَ توحيدُ الربوبيةِ هوَ: «**إفرادُ اللهِ ﷻ بالملكِ والخلقِ والتدبيرِ**»؛ فإنَّ توحيدَ الألوهيةِ هوَ: «**إفرادُ اللهِ ﷻ بالعبادةِ**»؛ وهوَ متمحورٌ حولَ كلمةِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهيَ أعظمُ كلمةٍ فِي هذَا الوجودِ؛ ومعناهَا: أنَّهُ لَا يوجدُ أحدٌ يستحقُّ العبادةَ إلَّا اللهُ وحدَهُ.

❊ ❊ ❊

ضرورةُ فهمِ التعبدِ فِي الإسلامِ

ومنْ أهمِّ صورِ العبادةِ للهِ ﷻ: الحبُّ.

حبُّ الخالقِ العظيمِ، حبُّهُ لكمالهِ وجلالهِ وجمالهِ، وحبُّهُ لربوبيتهِ وعظمتهِ، وحبُّهُ لإنعامهِ علينَا، وحبُّهُ لإرسالهِ الرسلَ إلينَا وَبيانِ الغايةِ من وُجودنَا، وكلَّما ازدادَ العبدُ محبَّةً لربِّهِ، طابَ قلبهُ بهِ واستغنَىٰ بهِ عنْ غيرهِ، وذاقَ لذةَ الإيمانِ، تلكَ اللذةُ التِي لَا تعدلهَا لذَّةٌ.

❋ ❋ ❋

ومنْ ثمراتِ التوحيدِ

التعلقُ باللهِ وحدهُ وعدمُ التعلُّقِ بالخرافاتِ.

إذَا آمنَ الإنسانُ بأنَّ اللهَ هوَ الخالقُ المالكُ المدَبِّرُ، المتصفُ بكلِّ صفاتِ العزةِ والكمالِ والعظمةِ، ثمَّ آمنَ بهِ إلهًا واحدًا لَا يستحقُّ العبادةُ إلَّا هوَ؛ فإنَّ هذَا يدفعُهُ إلَىٰ عدمِ التعلقِ بالبشرِ، سواءٌ أكانُوا أحياءً أم أمواتًا، فاللهُ هوَ القادرُ علَىٰ إغاثةِ الملهوفِ وإجابةِ سؤلِ السائلينَ، فالتوجهُ بالدعاءِ لغيرِ اللهِ ﷻ إنمَا هوَ ضعفٌ فِي الاعترافِ بقدرةِ اللهِ ورحمتهِ وقربهِ من عبادهِ، والذينَ يدعونَ من دونهِ إنمَا هم عبادٌ أمثالنَا لَا يملكونَ النفعَ وَلا الضرَّ.

ومِنْ علاماتِ ضعفِ العقيدةِ والإيمانِ فِي القلبِ: التعلُّقُ فِي جلبِ النفعِ ودفعِ الضرِّ بِأشياءَ لم يجعلْهَا اللهُ ﷻ أسبابًا لذلكَ؛ كتعليقِ مُجسماتٍ عليهَا صورةُ عينٍ فِي البيوتِ والمحلَّاتِ التجاريةِ لدفعِ العينِ، أو تعليقِ التمائمِ؛ كالقلادةِ علىٰ الرقبةِ للحمايةِ وَالوقايةِ؛ **وَهذَا مِنَ الشِّركِ**.

ومنْ علاماتِ ضعفِ العقيدةِ والإيمانِ فِي القلبِ: الحلِفُ بغيرِ اللهِ ﷻ؛ فإنَّ هذَا مُنافٍ لتمامِ التعظيمِ للهِ ﷯؛ فعنِ ابنِ عمرَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**مَنْ كانَ حالفًا فليحلفْ باللهِ أوْ لِيصمتْ**»(١).

(١) البخاري (٦٦٤٦).

الإيمانُ بالملائكةِ

الإيمانُ بالملائكةِ هوَ الركنُ الثانِي من أركانِ الإيمانِ؛ وهوَ من جملةِ الإيمانِ بالغيبِ؛ لأنَّ الإيمانَ بالغيبِ يدخلُ فيهِ كلُّ مَا يغيبُ عنِ الإنسانِ رؤيتُهُ، ومنْ ذلكَ: «الملائكةُ».

نحنُ نؤمنُ بالملائكةِ؛ لأننَا آمنَّا باللهِ سبحانهُ وتعالَىٰ، وقدْ أخذنَا سابقًا الأدلةَ التِي تثبتُ لنَا وجودَ اللهِ وعظمتَهُ، وَسيأتينَا أيضًا فيمَا يلِي: «الأدلةُ والبراهينُ علىٰ صدقِ النبيِّ ﷺ، وأنهُ رسولٌ من عندِ اللهِ»؛ حتَّىٰ نعلمَ أنَّ مَا يخبرنَا بهِ فإنهُ حقٌّ.

هكذَا تكونُ معرفتُك ناضجةً ومرتبةً ومنهجيَّةً.

مَنْ همُ الملائكةُ ومَا صفاتُهُمْ؟

هم خلقٌ من خلقِ اللهِ وَجندٌ من جنودِه، كثيرٌ عددُهم، لَا يُحصيهِم إِلَّا هوَ سبحانهُ، مخلوقونَ من نُورٍ، لهم وظائفُ كثيرةٌ كلَّفهم اللهُ بهَا، وهم يُسبحونَ بالليلِ والنهارِ، ويواصلونَ التعبدَ بلا فتورٍ.

وقدْ أخرجَ الإمامُ مسلمٌ فِي «صحيحِهِ» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**خُلقتِ الملائكةُ من نورٍ، وَخُلقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلقَ**

آدمُ ممَّا وُصفَ لكمْ»[١].

من صفاتِهِمُ الخَلقيةِ:

١- أنهم مخلوقونَ من نورٍ.

٢- أنَّ لهم أجنحةً متفاوتةَ العددِ، فمنهم من لهُ جناحانِ، ومنهم من لهُ أكثرُ منْ ذلكَ، قالَ ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فَاطِر: ١].

مَا وَظائفُ الملائكةِ؟

الملائكةُ لهم وظائفُ كثيرةٌ جدًّا، ويربطهُم بالمؤمنينَ منَ البشرِ علاقةُ محبةٍ واهتمامٍ؛ فمنْ وظائفِهم:

● الاستغفارُ للمؤمنينَ والدعاءُ لهمْ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غَافِر: ٧].

● وَمنهم ملائكةٌ يتتبعونَ مجالسَ الذكرِ وَيحضرونهَا ويتزاحمونَ عليهَا ويتنادَونَ، كمَا ثبتَ فِي الصحيحِ عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «**إنَّ للهِ تباركَ وتعالَىٰ ملائكةً سيارَةً، فُضُلًا يتبعونَ مجالسَ الذكرِ، فإذَا وجدُوا مجلسًا فيهِ ذكرٌ قعدُوا معهمْ، وحفَّ**

---

(١) (٢٩٩٦).

بعضهُم بعضًا بأجنحتهمْ، حتَّىٰ يملَؤوا ما بينهُم وبينَ السماءِ الدنيَا»[(١)].

● ونختمُ بعملٍ من أكثرِ الأعمالِ إسعادًا للمؤمنينَ، ألَا وهوَ تبشيرهُم عندَ الموتِ برحمةِ اللهِ وجنتهِ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠]. أَلَّا تَخافُوا؛ أَي: ممَّا تُقدمونَ عليهِ بعدَ مماتِكُم؛ ولا تحزنُوا: علَىٰ مَا فاتكُم من ورائِكمْ.

واللهِ مَا أجملَ تلكَ اللحظةَ وأسعدَهَا . . . تَخَيَّلْ أنكَ فِي تلكَ اللحظةِ الرهيبةِ المرعبَةِ: لحظةِ الموتِ، وأهلُكَ من حولِكَ يبكونَ، ولَا أحدَ ممَّنْ حولكَ يَفهمُك، أَوْ يستطيعُ أنْ يقدِّمَ لكَ المساعدةَ؛ فِي هذهِ اللحظةِ تتنزلُ الملائكةُ، فتقولُ للعبدِ المؤمنِ المستقيمِ: لَا تخفْ، ولَا تحزنْ -وليسَ ذلكَ فقطْ- بلْ وتبشرهُ بالجنةِ أيضًا: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠]. فَأَيُّ راحةٍ وأيُّ سعادةٍ تتغشَّىٰ العبدَ المؤمنَ فِي تلكَ اللحظةِ؟!

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٨٩).

الركنُ الثالثُ من أركانِ الإيمانِ

الإيمانُ بالكتبِ

منْ شموليَّةِ الإسلامِ وخصائصهِ وتميزهِ علَىٰ مَا سواهُ أنهُ يجعلكَ تصطلحُ معَ كلِّ رسلِ اللهِ وكتبِهِ، وليسَ كبقيَّةِ الأديانِ؛ بلْ إنَّ الإسلامَ يُخبرُك بأنكَ إنْ لم تؤمنْ بالأنبياءِ الذينَ بُعِثُوا لأهلِ الكتابِ -اليهودِ والنصارَىٰ- فإنكَ لَا تكونُ مسلمًا.

كيفيَّةُ الإيمانِ بالكتبِ:

الإيمانُ بالكتبِ يكونُ عبرَ مقامينِ اثنينِ:

الأولُ: التصديقُ المجملُ.

الثانِي: التصديقُ المفصلُ.

فأمَّا التصديقُ المجملُ: فهوَ الإيمانُ بأنَّ اللهَ أنزلَ كتبًا علىٰ رُسلهِ وأنبيائِه، كمَا قالَ سبحانهُ وتعالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وأَمَّا المُفصَّلُ، فهوَ: التصديقُ بتفاصيلِ مَا أخبرَ اللهُ بهِ عنهَا فِي القرآنِ من أسمائهَا، ومَا يتعلقُ بهَا من حفظٍ أوْ تحريفٍ ونحوِ ذلكَ، فاللهُ أخبرنَا أنَّهُ أنزلَ التوراةَ علىٰ موسَىٰ عليه السلام، والزبورَ علىٰ

داودَ، والإنجيلَ علىٰ عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخبرنَا عنْ صحفِ نبيِّ اللهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فيجبُ علينَا الإيمانُ بكلِّ ذلكَ.

وَأخبرنَا كذلكَ بتحريفِ أهلِ الكتابِ للكتابِ، كمَا قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البَقَرَة: ٧٩]، ولكنْ هذَا لَا يعنِي أنهْ لم يبقَ فيهِ شيءٌ صحيحٌ، بلْ هناكَ أمورٌ باقيةٌ منَ الوحيِ الإلهِي لَا تزالُ محفوظةً.

❁ ❁ ❁

القـرآنُ:
خاتمةُ الكتبِ الإلهيةِ للبشرِ والمعجزةُ الكبرَى

أمَّا القرآنُ الكريمُ -وهوَ آخرُ كتابٍ أنزلهُ اللهُ تعالَىٰ ولَا كتابَ بعدَهُ- فهوَ الكتابُ العظيمُ المحفوظُ منَ التحريفِ.

إعجازُ القرآنِ:

إنَّ من أعلَىٰ جوانبِ عظمةِ القرآنِ: إعجازُهُ؛ وذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا نزلَ عليهِ القرآنُ وكذبهُ قومهُ، أتاهُم بآيةٍ قاهِرةٍ، ومعجزةٍ بينةٍ من عندِ اللهِ ﷻ، وهيَ متعلقةٌ بهذا القرآنِ، وذلكَ أنهُ تحدَّاهمْ بأنْ يأتُوا بمثلِ هذَا القرآنِ؛ بلْ بسورةٍ منهُ! وحتَّىٰ تتصورَ عظمةَ هذَا التحدِّي فَاستحضرِ المعطياتِ التاليةَ:

- **نوعُ الخصومِ**: عربٌ أقحاحٌ، بضاعتهُمُ البيانُ، وميدانهمُ اللغةُ والفصاحةُ.

- **عددهُمْ**: لَا يحصَىٰ؛ لأنَّ التحديَ كانَ عامًّا لهم ولأنصارهمْ؛ بلْ وحتَّىٰ للجنِّ الذينَ معهمْ.

- **صيغةُ التحدِّي**: قويةٌ واضحةٌ مستفِزَّةٌ للطرفِ الآخرِ، فلَو كانَ قادرًا فَلا يمكنهُ ألَّا يجيبَ.

- **الإغراءُ**: لَو استطعتمُ الإتيانَ بسورةٍ مثلِ القرآنِ ينتهي الإسلامُ وتنتصرونَ أنتمْ.

- **المُحفِّزاتُ**: لَا تحتاجونَ إلَىٰ قتالٍ ولَا إلىٰ سفكِ دماءٍ، ولَا إجراءِ معاركَ وحروبٍ، فقطْ تكلَّمُوا بألسنتكُم وائتُوا بمثلِ هذا القرآنِ.

- **وممَّا يزيدُ التحدِّي استفزازًا لهمْ**: إخبارهُم بأنهُم لنْ يستطيعُوا -البتةَ- أنْ يكسبُوا هذا التحديَ، وأنَّ مِنَ الخيرِ لهم أنْ يتقُوا النارَ عوضًا عن ذلكَ.

النتيجةُ: عجزُ العربِ، وانتصارُ القرآنِ، وشموخُ الإسلامِ.

قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

هَذَا، وإنَّ من أهمِّ مَا أُلِّفَ فِي هذَا البابِ كتابَ «بيانِ إعجازِ القرآنِ» للخطَّابيِّ، وكتابَ «إعجازِ القرآنِ الكريمِ» للباقلانيِّ، وكتابَ «دلائلِ الإعجازِ» للجُرجانيِّ، وكتابَ: «النبأِ العظيمِ» لمحمدِ عبدِ اللهِ درازٍ.

❊ ❊ ❊

الرُّكنُ الرابعُ من أركانِ الإيمانِ

الإيمانُ بالرسلِ

كمَا سبقَ فِي الإيمانِ بالكتبِ من أنَّ الإسلامَ يجعلكَ فِي حالةِ تصالحٍ معَ كتبِ اللهِ، فإنهُ يجعلكَ كذلكَ تُجاهَ الأنبياءِ والمرسلينَ، فنحنُ نؤمنُ بكلِّ الرسلِ الذينَ قصَّ اللهُ علينَا خبرهُم في القرآنِ، فمَا أخبرنَا بهِ مفصلًّا آمنَّا بهِ مفصَّلًا، ومَا أخبرنَا بهِ مجملًا آمنَّا بهِ مجملًا.

قـــالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غَافِر: ٧٨]، وقالَ ﷻ: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فَاطِر: ٢٤]. وَفِي هذهِ الآيةِ الردُّ علىٰ منْ يزعمُ أنَّ وُجودَ الأنبياءِ انحصرَ فيمَا يعرفُ بمنطقةِ الشرقِ الأوسطِ، فهيَ خبرٌ صادقٌ بوجودِ الأنبياءِ فِي كلِّ الأممِ.

دينُ الأنبياءِ واحدٌ وشرائعُهم مختلفةٌ:

- يخبرُنَا القرآنُ أنَّ الأنبياءَ كلَّهُم كانُوا مسلمينَ للهِ تعالَىٰ، أديانُهم قائمةٌ علىٰ التوحيدِ.

- وإنْ كانُوا يشتركونَ فِي التوحيدِ وأصلِ الرسالةِ إلَّا أنَّ

شرائعهُم تختلفُ مَا بينَ نَبيٍّ وآخرَ كمَا قالَ ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المَائِدَةِ: ٤٨].

- وَيخبرنَا القرآنُ أيضًا بأنَّ النبيَّ ﷺ بُعثَ مُصدِّقًا للأنبياءِ فِي أصلِ هذهِ الرسالةِ، وأنَّ شريعتَهُ جاءتْ ناسخةً لكلِّ الشرائعِ السابقةِ ومهيمنَةً عليهَا، كمَا قالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المَائِدَةِ: ٤٨].

دلائلُ نبوةِ النبيِّ ﷺ:

إنَّ الدلائلَ والبراهينَ التِي تثبتُ لنَا أنَّ محمدًا ﷺ نبيٌّ مرسلٌ من عندِ اللهِ ﷻ كثيرةٌ جدًّا، وقدْ أوصلهَا بعضُ العلماءِ إلىٰ ألفِ دليلٍ، وكتبَ العلماءُ فِي ذلكَ وألَّفُوا، وجمعُوا وحقَّقُوا، فمنهمُ الذِي ركزَ علىٰ دَلائلِ العقلِ، ومنهمْ منِ اهتمَّ بدلائلِ الخبرِ، ومنهمْ منِ اعتنَىٰ بجانبِ المعجزاتِ الحسيَّةِ.

ومِنْ أجمعِ الكتبِ المتقدمةِ: كتابُ «دلائلِ النبوةِ» للبيهقِيِّ، ومنْ أفضلِ الكتبِ المعاصرةِ: كتابُ «براهينِ النبوَّةِ» لسامِي عامرِيّ، وكتابُ «النبأِ العظيمِ» لمحمدِ درازٍ، ومنْ أرادَ شيًّا مسهلًا لطيفًا فيمكنهُ مشاهدةُ سلسلةِ حلقاتٍ للدكتورِ منقذٍ السقارِ بعنوانِ: «براهينِ النبوةِ».

إنَّ النبوةَ خبرٌ منَ الأخبارِ، أي: إنَّ النبيَّ ﷺ يُخبرُ بأنهُ نزلَ عليهِ الوحيُ، والمُخبرُ إمَّا أنْ يكونَ صادقًا أو كاذبًا، وتمييزُ الصادقِ منَ الكاذبِ فِي الأمورِ الكبيرةِ -مثلِ النبوةِ- سهلٌ جدًّا؛

لأنَّ الذِي يدَّعِي أنهُ نبيٌ ولَا يكونُ كذلكَ فإنهُ يكونُ من أشدِّ المخلوقاتِ كذبًا، وتمييزُ هذَا النوعِ منَ البشرِ في غايةِ اليسرِ، حتَّىٰ الجاهلُ يمكنهُ معرفةُ كذبِ من يدَّعِي النبوةَ وهوَ غيرُ صادقٍ فيهَا، ولذلكَ قالَ الإمامُ ابنُ أبِي العزِّ الحنفيُّ:

«النبوةُ إنمَا يدعيهَا أصدقُ الصادقينَ، أوْ أكذبُ الكاذبينَ، ولَا يلتبسُ هذَا بهذَا إلَّا علَىٰ أجهلِ الجاهلينَ، بلْ قرائنُ أحوالهمَا تُعرِبُ عنهمَا، وتعرفُ بهمَا، والتمييزُ بينَ الصادقِ والكاذبِ لهُ طرقٌ كثيرةٌ فيمَا دونَ دعوةِ النبوةِ، فكيفَ بدعْوَىٰ النبوةِ؟»(١).

وهوَ كلامٌ فِي غايةِ النفاسةِ، وقدٍ ذكرهُ قبلهُ الإمامُ ابنُ تيميَّةَ، وذلكَ فِي شرحهِ «لِلعقيدةِ الأصبهانيَّةِ»، وسأذكرُ الكلامَ بنصِّهِ معَ اختصارٍ يسيرٍ، قالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«ومعلومٌ أنَّ مُدَّعيَ الرسالةِ إمَّا أنْ يكونَ من أفضلِ الخلقِ وأكملِهِمْ، وإمَّا أنْ يكونَ من أنقصِ الخلقِ وأرذلِهِمْ، فكيفَ يشتبهُ أفضلُ الخلقِ وأكملِهِم بأنقصِ الخلقِ وأرذلِهِمْ؟!».

ومَا من أحدٍ ادَّعَىٰ النبوةَ منَ الكذَّابينَ إلَّا وقدْ ظهرَ عليهِ منَ الجهلِ والكذبِ والفجورِ، واستحواذِ الشياطينِ عليهِ مَا ظهرَ لمنْ لهُ أدنَىٰ تمييزٍ، ومَا من أحدٍ ادعَىٰ النبوةَ منَ الصادقينَ إلَّا وقدْ ظهرَ عليهِ منَ العلمِ والصدقِ والبرِّ وأنواعِ الخيراتِ مَا ظهرَ لمنْ لهُ

(١) «شرح الطحاوية»، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة الإرشاد (ص ١٠٩).

أدنَىٰ تمييزٍ؛ فإنَّ الرسولَ لَا بُدَّ أنْ يخبرَ الناسَ بأمورٍ، ويأمرهُم بأمورٍ، ولَا بُدَّ أنْ يفعلَ أمورًا؛ والكذابُ يظهرُ فِي نفسِ مَا يأمرُ بهِ، وَمَا يخبرُ عنهُ، ومَا يفعلهُ مَا يَبِينُ بهُ كذبُهُ من وجوهٍ كثيرةٍ، والصادقُ يظهرُ فِي نفسِ مَا يأمرُ بهِ وَيخبرُ عنهُ ويفعلهُ = مَا يظهرُ بهِ صدقُهُ من وجوهٍ كثيرةٍ.

والناسُ يُميِّزونَ بينَ الصادقِ والكاذبِ بأنواعٍ منَ الأدلةِ، حتَّىٰ فِي المُدَّعينَ للصناعاتِ والمقالَاتِ؛ كالفِلاحةِ وَالنِّسَاجةِ وَالكِتابةِ، وعلمِ النحوِ والطبِّ والفقهِ، وغيرِ ذلكَ، فمَا من أحدٍ يدَّعِي العلمَ بصناعةٍ أوْ مقالةٍ إلَّا والتفريقُ فِي ذلكَ بينَ الصادقِ والكاذبِ لهُ وجوهٌ كثيرةٌ، وكذلكَ من أظهرَ قصدًا وعملًا كمنْ يُظهرُ الديانةَ والأمانةَ والنصيحةَ والمحبةً، وأمثالَ ذلكَ منَ الأخلاقِ؛ فإنهُ لَا بدَّ أنْ يتبينَ صدقُهُ وكذبُهُ من وجوهٍ متعددةٍ.

والنبوةُ مشتملةٌ علَىٰ علومٍ وأعمالٍ لَا بدَّ أنْ يَتَّصفَ الرسولُ بهَا، وهيَ أشرفُ العلومِ، وأشرفُ الأعمالِ، فكيفَ يشتبهُ الصادقُ فيهَا بالكاذبِ؟ ولَا يتبينُ صدقُ الصادقِ وكذبُ الكاذبِ من وجوهٍ كثيرةٍ؟ لَا سيمَا والعالَمُ لَا يخلُو من آثارِ نبيٍّ من لَدنْ آدمَ إلىٰ زمانِنَا، وقدْ علمَ جنسُ مَا جاءتْ بهِ الأنبياءُ والمرسلونَ ومَا كانُوا يَدعونَ إليهِ وَيأمرُونَ بهِ، ولم تزلْ آثارُ المرسلينَ فِي الأرضِ، ولم يزلْ عندَ الناسِ من آثارِ الرسلِ مَا يعرفونَ بهِ جنسَ مَا جاءتْ بهِ الرسلُ، ويفرِّقونَ بهِ بينَ الرُّسلِ وغيرِ الرُّسلِ.

فلَو قدِّرَ أنَّ رجلًا جاءَ فِي زمانِ إمكانِ بعثِ الرُّسلِ، وأمرَ بالشركِ وعبادةِ الأوثانِ، وإباحةِ الفواحشِ والظلمِ والكذبِ، ولم يأمرْ بعبادةِ اللهِ، ولَا بالإيمانِ باليومِ الآخرِ؛ هلْ كانَ مثلُ هذَا يحتاجُ أنْ يطالَبَ بمعجزةٍ، أَو يُشكَّ في كذبهِ أنهُ نبيٌّ؟! . . . » إلىٰ آخرِ كلامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

❁ ❁ ❁

(١) «شرح الأصبهانية»، مكتبة دار المنهاج، باختصار من (٥٣٩-٥٤٤).

الركنُ الخامسُ من أركانِ الإيمانِ

الإيمانُ باليومِ الآخرِ

لحظةُ الموتِ والانتقالِ إلىٰ الدارِ الآخرةِ:

يبدأُ اليومُ الآخِرُ بالنسبةِ للإنسانِ عندَ لحظةِ موتِهِ «حيثُ ينتقلُ من عالمِ الدنيَا إلىٰ عالمٍ آخرٍ، عالمٍ محجوبَةٍ حقائقُهُ عنْ حواسِّنَا، وإنْ كنَّا نعلمُهَا بالخبرِ الصادقِ عنِ النبيِّ ﷺ.

وَلئنْ كانَ يومُ القيامةِ يُسمَّىٰ فِي القرآنِ الكريمِ «الساعةَ» وذلكَ فِي آياتٍ كثيرةٍ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قدْ جعلَ لحظةَ موتِ الإنسانِ ساعةً بالنسبةِ إليهِ، كمَا فِي «صحيحِ البخاريِّ» عنْ عائشةَ قالتْ: كانَ رجالٌ منَ الأعرابِ جفاةٌ، يأتونَ النبيَّ ﷺ فيسألونهُ: متَىٰ الساعةُ؟ فكانَ ينظرُ إلَىٰ أصغرِهمْ فيقولُ: «**إنْ يعشْ هذَا لَا يدركهُ الهرمُ حتَّىٰ تقومَ عليكُم ساعتُكمْ**». قالَ هشامٌ: يعنِي موتَهُمْ[(١)].

القبرُ: فتنتهُ ونعيمهُ وعذابُه:

منْ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ الإنسانَ بعدَ موتهِ وقبلَ بعثهِ -أَي فِي مرحلةِ البرزخِ حينَ يكونُ فِي قبرهِ- فإنهُ لَا يعيشُ

(١) «صحيح البخاري» (٦٥١١).

مرحلةَ فراغٍ، بلْ إنهُ يمرُّ برحلةٍ طويلةٍ للروحِ، إمَّا نعيمٌ وإمَّا شقاءٌ، وأنهُ أولُ مَا يوضعُ فِي قبرهِ يتعرَّضُ للسؤالِ والامتحانِ من جهةِ ملائكةٍ مُخصصَّةٍ لذلكَ، وأنهُ سيجيبُ بحسبِ سيرهِ فِي الحياةِ الدنيَا، وأنهُ بناءً علَىٰ هذا الجوابِ سيعيشُ بقيةَ حياتهِ البرزخيةِ فِي القبرِ.

وقدْ يظنُّ الإنسانُ أنَّ الأمرَ سهلٌ؛ لأنهُ يعرفُ الأسئلةَ مسبقًا ويحفظُ الجوابَ، ولكنَّ الحقيقةَ أنَّ الإجابةَ هناكَ لنْ تكونَ بِالحفظِ، بلْ بمَا كانَ يعتقدهُ ويؤمنُ بهِ.

مِنْ أدلةِ الكتابِ والسنةِ علَىٰ فتنةِ القبرِ ونعيمهِ وعذابهِ ومَا ينفعُه:

وبعدَ العرضِ السابقِ لمرحلةِ القبرِ وفتنتهِ سأسردُ مجموعةً منَ الأدلةِ علىٰ مَا ذكرتُ؛ لأنَّ هناكَ من أهلِ البدعِ من تعوَّدَ الجحودَ، حتَّىٰ جحدُوا مثلَ هذهِ المعانِي التِي جاءتْ بهَا الشريعَةُ.

١- قالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقدْ فسَّرَ النبيُّ ﷺ هذهِ الآيةَ وبينهَا، كمَا أخرجَ الإمامُ البخاريُّ ومسلمٌ فِي «صحيحيهمَا»[١] عنِ البراءِ بنِ عازبٍ، عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ قالَ: «**نزلتْ فِي عذابِ القبرِ،**

(١) اللفظ لمسلم، والحديث في البخاري برقم (١٣٦٩) وفي مسلم برقم (٢٨٧١).

فيقالُ لهُ: من ربُّكَ؟ فيقولُ: ربِّي اللهُ، ونَبِيِّي محمدٌ ﷺ؛ فذلكَ قولُهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾».

النفخُ فِي الصورِ:

فِي لحظةٍ لَا يعلمُ زمانَهَا إلَّا اللهُ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، بَعدَ رحلةٍ طويلةٍ فِي البرزخِ ينفخُ فِي الصورِ بصوتٍ عالٍ مَهيبٍ صاخٍّ صارخٍ؛ فيبعثُ اللهُ معهُ الناسَ من قُبورهِمْ، وَيحشرُ الأجسادَ، وَيُحييهَا بعدَ الموتِ كمَا يُحْيِي الأرضَ بعدَ موتهَا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وهذهِ النفخَةُ التِي يبعثُ اللهُ بهَا الناسَ ليستِ الأولَىٰ، بلِ الثانيةُ، وأمَّا الأولَىٰ فهيَ نفخةٌ يصعقُ بهَا من فِي السماواتِ ومنْ فِي الأرضِ، فمنْ بقيَ منَ الناسِ حيًّا وقتَ نهايةِ الدنيَا فسيموتُ بالصعقةِ الأولَىٰ، ثمَّ يمكثونَ مَا شاءَ اللهُ، ثمَّ تأتِي النفخةُ الثانيةُ، وهِيَ التِي سمَّاهَا اللهُ تعالَىٰ «الصَّاخَّةَ» أَي إِنَّهَا من قوَّتِهَا تصمُّ الآذانَ أوْ تكادُ.

البعثُ والحشرُ:

يخرجُ الناسُ من قُبورهِم ينظرونَ: مَا هَذَا؟ من بعثَنا من

مرقدِنَا؟ مَا الذِي جرَىٰ؟ يَا إِلهِي! إنهُ لحقٌّ! إنهُ لَصدقٌ! هذَا مَا وعدَ الرحمنُ وصدقَ المرسلونَ! ثمَّ يلتفتونَ إلَىٰ أنفسهِم فإذَا هم كمَا خلقهمُ اللهُ أولَ مرةٍ: حفاةً عراةً، غرلًا -غيرَ مَختونِينَ- كمَا ثبتَ فِي الصحيحِ عنْ عائشةَ، قالتْ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**يحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ حفاةً عراةً غرلًا**»، قلتُ: يَا رسولَ اللهِ، النساءُ والرجالُ جميعًا ينظرُ بعضهم إلىٰ بعضٍ! قالَ ﷺ: «**يَا عائشةُ، الأمرُ أشدُّ من أنْ ينظرَ بعضُهم إلَىٰ بعضٍ**»[(١)].

ثمَّ يسمعونَ الداعيَ الذِي يقودُهم إلَىٰ ساحةِ الحشرِ، فَيَسيرونَ خلفهُ كأنهُمْ جرادٌ منتشرٌ: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ أَي مُسرعِينَ إليهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾

فَيجمعُ الناسُ فِي ساحةِ الحشرِ، كُلُّ الناسِ من لدنْ آدمَ إلىٰ نهايةِ الدنيَا، فَيقومُونَ طويلًا فِي موقفٍ صعبٍ، حيثُ تدنُو الشمسُ، ويشتدُّ الحرُّ، فيكثرُ العرقُ الذِي يَرشحُ منَ الجسمِ، كمَا روَىٰ ابنُ عمرَ عنِ النبيِّ ﷺ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] حتَّىٰ يَغِيبَ أحدُهُم في رَشحِهِ إلىٰ أنصافِ أذنيهِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٩).

(٢) مسلم (٢٨٦٢).

الآمنونَ منَ الفزعِ الأكبرِ:

فِي ذلكَ المقامِ الذِي يجتمعُ فيهِ الخوفُ والفزعُ والحرُّ وطولُ المقامِ والعطشُ، تفيءُ ثلةٌ منَ الناسِ إلىٰ ظلٍّ يظلهمُ اللهُ بهِ ظليلٍ، بعيدٍ عنْ هذهِ الشدةِ والهولِ، فعنْ أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**سبعةٌ يظلهمُ اللهُ فِي ظلهِ، يومَ لَا ظلَّ إلَّا ظلُّهُ: الإمامُ العادلُ، وشابٌ نشأَ فِي عبادةِ ربهِ، ورجلٌ قلبهُ معلقٌ فِي المساجدِ، ورجلانِ تحابَّا فِي اللهِ اجتمعَا عليهِ وتفرَّقَا عليهِ، ورجلٌ طلبتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصدقَ، أخفاهَا حتَّىٰ لَا تعلمَ شمالُهُ مَا تنفقُ يمينُه، ورجلُ ذكرَ اللهَ خاليًا ففاضتْ عيناهُ.**»[1]. وفِي البخاريِّ[2] عنِ النبيِّ ﷺ: «**منْ أنظرَ معسرًا أظلهُ اللهُ فِي ظلِّهِ**».

الحَوضُ:

فِي مقامِ الشدةِ ذاكَ، هناكَ موعدٌ شريفٌ للمؤمنينِ من أعظمِ المواعيدِ وأجلهَا، ألَا وهوَ: موعدُ لقاءِ النبيِّ ﷺ علىٰ الحوضِ، موعدُ اللقاءِ بِأشرفِ الخلقِ عندَ موردِ الماءِ الصافِي العذبِ فِي يومِ العطشِ الأكبرِ، كم هوَ جميلٌ ذلكَ اللقاءُ، وكم تتقطعُ النفوسُ شوقًا إليهِ، وهوَ ﷺ كانَ يبشرُ أصحابَهُ بذاكَ اللقاءِ، ويمنِّيهِم بهِ فِي

(١) «صحيح البخاري» (٦٦٠).

(٢) (٣٠٠٦).

بعضِ حديثِهِ حينَ يذكرُ شيئًا منَ الشدةِ التِي ستُلاقيهِمْ، كمَا فِي قولِهِ للأنصارِ: «**فاصبِرُوا حتَّىٰ تَلقونِي علىٰ الحوضِ**»(١) وقولِهِ حينَ زارَ شهداءَ أُحدٍ «**وإنَّ موعدَكمُ الحوضُ**»(٢)، فَيَا لَلَّهِ كيفَ سيكونُ ذاكَ اللقاءُ؟!

طلبُ الشفاعةِ لبدءِ الحسابِ:

نعودُ إلىٰ المشهدِ العامِّ العسرِ الصعبِ الشديدِ المرهقِ، فإنَّ الناسَ يطولُ المقامُ بهم في ساحةِ الحشرِ، ويبلغُ الكربُ بهم مبلغًا لَا يُطيقونهُ ولَا يحتملونهُ، فيلتفتونَ باحثينَ عمَّنْ يمكنُ أنْ يشفعَ لهمْ إلىٰ ربهمْ ليبدأَ الحسابُ، ويفصلَ لهمْ فِي أمرِهمْ، فَيعلمونَ حينذاكَ أنَّ أسيادَهُم وملوكَهُم وكبراءهُم فِي الدنيَا لَا حظَّ لهم فِي الآخرةِ، وأنَّ الذينَ لهمُ الحظُّ الأوفرُ همُ الأنبياءُ؛ فيتوجَّهونَ إليهمْ طالبينَ إيَّاهمْ أنْ يشفعُوا إلَىٰ ربِّهِم لَا فِي دخولِ الجنةِ، وإنمَا فقطْ لينتهِيَ وقوفهمُ الطويلُ ذاكَ.

بدءُ الحسابِ والقضاءُ بينَ الناسِ وعرضُ الأعمالِ والموازينُ والصحفُ:

يومُ الحسابِ يومٌ طويلٌ مليءٌ بالأحداثِ والأهوالِ، فيهِ السوءُ علَىٰ الكافرينَ، والخيرُ للمؤمنينَ، فيهِ البكاءُ والعويلُ،

(١) البخاري (٦٦٠).

(٢) البخاري (٤٠٤٢).

والتغابنُ والثبورُ، وفيهِ كذلكَ: الفرحُ والسرورُ، والسعادةُ والحبورُ.

يحاسبُ اللهُ البشرَ فردًا فردًا، كمَا قالَ ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣].

والحسابُ أنواعٌ: فمنهُ الحسابُ اليسيرُ -وهوَ العرضُ- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]. وَهناكَ حسابٌ عسيرٌ، تُعرضُ فيهِ الأعمالُ وتناقشُ، كمَا روتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنهَا عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قالَ: «ليسَ أحدٌ يُحاسبُ إلَّا هلكَ»، قالتْ: قلتُ: يَا رسولَ اللهِ، جعلنِي اللهُ فداءكَ، أليسَ يقولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قالَ: «ذاكَ العَرضُ، يُعرضونَ ومنْ نوقشَ الحسابَ هلكَ»[1].

يُوضعُ الميزانُ فتوزنُ أعمالُ الإنسانِ؛ حسناتُهُ وسيئاتُهُ، كمَا قالَ ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

يُفَاجأُ الإنسانُ بأنَّ كلَّ شيءٍ من عملِه مكتوبٌ، ألفاظهُ وأعمالهُ ومعتقداتُه، خطواتُه ونظراتُه، سعيهُ وكدُّه، هزلُه وجدُّه، كلُّ شيءٍ يجدُه أمامَه، كمَا قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ

(١) البخاري (٦٥٣٧).

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

الصراطُ:

بعدَ ساحةِ الحشرِ، وفِي طريقِ التوجهِ إلىٰ الجنةِ، وبعدَ أنْ يُلقَىٰ بأهلِ النارِ الذِينَ هم أهلُهَا فِي النارِ، يجتازُ البقيةُ من فوقِ الصراطِ الذِي سيكونُ آخرَ تصفيةٍ وغربلةٍ، وهوَ جسرٌ مضروبٌ علىٰ جهنمَ، يمرُّ الناسُ فوقهُ كلٌّ بحسبِ عملهِ وإيمانِه، حتَّىٰ يسقطَ بعضهُم ممَّنْ لم يُسعفْهُ عملهُ لِلإجازةِ والعبورِ، فقدْ أخرجَ الإمامُ البخاريُّ فِي «صحيحِهِ» عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «**يُضربُ الصراطُ بينَ ظهرانَي جهنمَ، فأكونُ أولَ من يجوزُ منَ الرسلِ بأمتهِ، ولَا يتكلمُ يومئذٍ أحدٌ إلَّا الرسلُ، وكلامُ الرسلِ يومئذٍ: اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ، وفِي جهنمَ كلاليبُ مثلُ شوكِ السعدانِ، هلْ رأيتُم شوكَ السعدانِ؟**» قالُوا: نعمْ، قالْ: «**فإنهَا مثلُ شوكِ السعدانِ غيرَ أنهُ لَا يعلمُ قدرَ عظمهَا إلَّا اللهُ، تخطفُ الناسَ بأعمالِهم، فمنهُم من يُوبقُ بعملهِ، ومنهم من يُخردلُ ثمَّ ينجُو**»[1].

الشفاعةُ فِي الخروجِ منَ النارِ:

لَا يستطيعُ أحدٌ أنْ يشفعَ عندَ اللهِ كشفاعةِ أتباعِ الملوكِ عندَ الملوكِ، لمجردِ وجودِ جاهٍ عندهُم يشفعونَ! لَا، وإنمَا الشفاعةُ

(١) البخاري (٨٠٦).

يومَ القيامةِ تكونُ أوَّلًا بإذنِ اللهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، ثمَّ تكونُ فيمنِ ارتضَىٰ اللهُ -وهم أهلُ التوحيدِ- ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأمَّا غيرُ الموحدِ فلَا تنفعهُ الشفاعةُ، ولَا يأذنُ اللهُ فِي الشفاعةِ لهمْ.

ومنْ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ اللهَ سيُخرجُ من أهلِ النارِ أقوامًا ممَّنْ فِي قلوبِهم خيرٌ من أهلِ التوحيدِ، ممَّنِ استحقُّوا النارَ بذنوبِهم، ممَّنْ لم تكنْ لهمْ حسناتٌ كافيةٌ فِي الدنيَا فيُطَهَّرونَ فِي جهنمَ، ثُمَّ يخرجُونَ منهَا، ويدخلونَ الجنةَ.

دخولُ الجنةِ:

وعدَ اللهُ عبادَه المؤمنينَ بالجنةِ، والإيمانُ بهَا إيمانٌ بالغيبِ، كمَا قالَ اللهَ ﷻ: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، ثمَّ أعدَّهَا وهيَّأهَا وزينَها وعرَّفهَا لهمْ، حتَّىٰ أصبحتْ علىٰ صورةٍ لَا يمكنُ لبشرٍ أنْ يصفهَا، ففيهَا منَ النعيمِ مَا لم يَخطرْ -حتَّىٰ فِي الخيالِ- علىٰ قلبِ إنسانٍ، كمَا ثبتَ فِي الحديثِ الصحيحِ(١) عنْ أبِي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ ﷺ: «**قالَ اللهُ تباركَ وتعالَىٰ: أعددتُ لعبادِي الصالحينَ مَا لَا عينٌ رَأتْ، وَلَا أذنٌ سمعتْ، وَلَا خطرَ علَىٰ قلبِ بشرٍ**». قالَ أبُو هريرةَ: اقرَؤُوا إنْ شئتمْ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

وقدْ ذكرَ اللهُ فِي كتابهِ كثيرًا منَ الآياتِ فِي وصفِ الجنةِ، وكذلكَ النبيُّ ﷺ فِي عشراتِ أوْ مئاتِ الأحاديثِ، وكتبَ العلماءُ فِي وصفِ الجنةِ كتبًا خاصةً، منهَا كتابُ «حادِي الأرواحِ إلىٰ بلادِ الأفراحِ» لِلإمامِ ابنِ قَيمِ الجوزيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

جهنمُ:

للطغاةِ يومٌ ينالونَ فيهِ العقوبةَ، وللعاصينَ مكانٌ يذوقونَ فيهِ جزاءَهُمْ، وهوَ مكانٌ مهولٌ مُخيفٌ، عذابُه لَا يطاقُ، وجحيمُه لَا يحتملُ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفَجْر: ٢٥-٢٦].

وهيَ ليستْ نارًا عاديَّةً، بلْ حرارتُهَا مُضاعفةٌ، وقعرهَا بعيدٌ، وظلمتهَا شديدةٌ، فعنْ أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**نارُكم جزءٌ من سبعينَ جزءًا من نارِ جهنمَ**»، قيلَ: يَا رَسولَ اللهِ، إنْ كَانتْ لكافيةً، قالَ: «**فُضِّلتْ عليهنَّ بتسعةٍ وستينَ جزءًا، كلُّهنَّ مثلُ حرِّهَا**»(١).

وَفيهَا أصنافٌ منَ النكالِ والعذابِ، كمَا قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المُزَّمِّل: ١٢-١٣]، ولذلكَ سماهَا اللهُ بأسماءٍ متعددةٍ، كلُّ اسمٍ منهَا يدلُّ علىٰ معنًى ووصفٍ وأثرٍ لهَا؛ فمِنْ أسمائهَا فِي القرآنِ: سقرُ، ولظَىٰ، والسعيرُ، والحطمَةُ، والجحيمُ، وجهنمُ، والنارُ.

---

(١) البخاري (٢٨٤٣).

هذَا وإنَّ الموفَّقَ حقًّا من رزقهُ اللهُ الاهتمامَ بمعرفةِ مَا يسببُ دخولَ النارِ منَ الظلمِ والشركِ والغشِّ وتركِ الصلاةِ، ومنَ القولِ علىٰ اللهِ بلَا علمٍ، ومنْ تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ، وغيرِ ذلكَ منَ المنكراتِ، ثمَّ رزقهُ العملَ علىٰ اجتنابِهَا.

❁ ❁ ❁

الركنُ السادسُ من أركانِ الإيمانِ

الإيمانُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ

لَا يُقدِّرُ اللهُ شرًّا محضًا:

قدْ يكونُ شرًّا بالنسبةِ لمنْ وقعَ عليهِ القدرُ؛ لَا أنهُ شرٌّ خالصٌ من كلِّ الجهاتِ، فللَّهِ ﷻ الحكمةُ البالغةُ، وهوَ يعلمُ ما لا نعلمُ، فقدْ يقدِّرُ شيئًا ظاهرُه الشرُّ، ولكنْ ينبنِي عليهِ خيرٌ كثيرٌ.

ماذَا يعنِي الإيمانُ بالقدرِ؟ ومتَىٰ نكونُ مؤمنينَ بالقدرِ؟

أولُ شيءٍ يجبُ علينا تُجاهَ الإيمانِ بالقدرِ أنْ نؤمنَ أنهُ لَا يحدثُ شيءٌ فِي هذهِ الدنيَا إلَّا وقدْ قدَّرهُ اللهُ تعالَىٰ وكتبَه قبلَ خلقِ السماواتِ والأرضِ، كمَا ثبتَ عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «**كتبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ -قالَ-: وعرشُهُ علىٰ الماءِ**»[1].

ثمَّ بعدَ ذلكَ هناكَ مقامانِ تُجاهَ مَا يُؤلِمُنا منَ الأقدارِ، أحدهمَا واجبٌ، فمنْ لم يحقِّقْهُ فإنَّ ذلكَ دليلٌ علىٰ ضعفِ إيمانهِ بالقضاءِ والقدرِ، ويكونُ مستحقًّا للعقوبةِ، والثانِي اختلفَ العلماءُ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

فِي وجوبِه، وإنْ لم يختلفُوا فِي أنهُ مقامٌ عظيمٌ محبوبٌ عندَ اللهِ ﷻ.

مَا ثمراتُ الإيمانِ بالقدرِ؟

- **الصبرُ علىٰ المصائبِ والكوارثِ:**

فيحتملُ الألمَ لأجلِ الأجرِ.

- السكينةُ والطمأنينةُ والرضَا:

وهذهِ الطمأنينةُ هيَ التِي يبحثُ عنهَا أكثرُ أهلِ الأرضِ، ولكنهَا لا تتحققُ إلَّا للمؤمنِ، المؤمنُ الذِي يعلمُ أنَّ مَا أصابهُ فهوَ خيرٌ لهُ، فهوَ لَا يكتفِي بكفِّ نفسهِ عنِ الجزعِ، وإنمَا كذلكَ يرضَىٰ ويسلمُ؛ فينزلُ اللهُ عليهِ السكينةَ والطمأنينةَ.

مَا أنواعُ كتابةِ الأقدارِ وأقسامهَا؟

كتبَ اللهُ ﷻ الأقدارَ كلهَا من قبلِ أنْ تُخلقَ السَّماواتُ والأرضُ -كَما مرَّ معنَا-، غيرَ أنَّ هناكَ أنواعًا متعددةً منَ الكتابةِ والتقديرِ:

١- الكتابةُ الشاملةُ لمقاديرِ الخلائقِ، وهيَ السابقةُ لخلقِ السماواتِ والأرضِ، وهيَ في اللوحِ المحفوظِ، كمَا قالَ ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢- قسمُ الأقدارِ المتعلقةِ بكلِّ سنةٍ وعامٍ وفَرقُهَا، كمَا قالَ ﷻ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، أَي في لَيلةِ القَدرِ.

٣- كِتابَةُ أقدارِ الجَنينِ فِي بطنِ أُمِّهِ، كمَا فِي «صحيحِ البخاريِّ» عنْ أنسِ بنِ مالكٍ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّ اللهَ ﷻ وكلَ بالرحمِ ملكًا، يقولُ: يَا ربِّ نطفةٌ؟ يَا ربِّ علقةٌ؟ يَا ربِّ مضغةٌ؟ فإذَا أرادَ أنْ يقضيَ خلقَهُ قالَ: أذكرٌ أم أنثىٰ، شقيٌّ أم سعيدٌ؟ فمَا الرزقُ والأجلُ؟ فيُكتبُ فِي بطنِ أُمهِ**»[١].

هلْ يصحُّ لأحدٍ أنْ يحتجَّ علىٰ ذُنوبهِ بالإيمانِ بالقدرِ؟

لَا يصحُّ لأحدٍ أنْ يبرِّرَ انحرافَه ومعصيتَه بالقدرِ؛ لأنَّ الإنسانَ لهُ إرادةٌ حقيقيَّةٌ يستطيعُ الاختيارَ بهَا، كمَا قالَ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٠].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

القسمُ الثالثُ

مَا يُضادُّ الإيمانَ ويناقضُهُ

الأبوابُ المضادةُ للإيمانِ

مِنَ المهمِّ أنْ يعرفَ الإنسانُ الأبوابَ التِي تُضادُّ إيمانَهُ؛ لِيستفيدَ أمرينِ:

الأولُ: لِيحذرهَا وَيجتنبَهَا؛ فإنَّ من لَا يعرفُ الشرَّ يقعُ فيهِ.

الثَّانِي: ليزدادَ بصيرةً فِي معالمِ الإيمانِ وحدودِه؛ وبضدِّهَا تتميزُ الأشياءُ.

الكفرُ والشركُ والنفاقُ:

حينَ نمرُّ علىٰ ذكرِ الشركِ والكفرِ والنفاقِ -ونحنُ نتلُو كتابَ اللهِ، أوْ نقرأُ سنةَ نبيِّهِ ﷺ-، فإننَا نتخيلُ أشياءَ فِي غايةِ البعدِ عنَّا، ولَا نظنُّ أنهَا يمكنُ أنْ تهددنَا فِي يومٍ منَ الأيامِ، وربَّمَا يكونُ ذلكَ لجهلنَا بكثيرٍ منَ التفاصيلِ المتعلقةِ بهذهِ الأسماءِ الشرعيَّةِ.

وفِي الحقيقةِ فإنَّ كلًّا منَ الكفرِ والشركِ والنفاقِ فيهِ درجاتٌ، فهناكَ الكفرُ الأكبرُ والكفرُ الأصغرُ، والشركُ الأكبرُ والأصغرُ، والنفاقُ الأصغرُ والأكبرُ.

والأصغرُ من هذهِ الأسماءِ ليسَ خاصًّا بالكفارِ، بلْ يمكنُ أنْ يقعَ فيهِ المسلمونَ، وهوَ يقودُ إلىٰ الأكبرِ، فالرياءُ مثلًا شركٌ أصغرُ، وكثيرًا مَا يقعُ فيهِ أناسٌ منَ المسلمينَ، وإخلافُ الوعدِ،

والكذبُ فِي الحديثِ، وخيانةُ الأمانةِ من صفاتِ المنافقينَ، وهيَ نفاقٌ أصغرُ، وكثيرًا مَا يقعُ فيهَا أُناسٌ منَ المسلمينَ، ولذلكَ فإنَّ الصحابةَ لصدقِ إيمانهِم وتقواهُم كانُوا يخافونَ النفاقَ علىٰ أنفسهِم معَ كلِّ مَا لَديهِم من صلاحٍ وعمَلٍ، وتجدُ أحدَنا اليومَ آمنًا وكأنَّهُ قدْ أخذَ مفاتيحَ الجنةِ بيدَيهِ.

أخرجَ البخاريُّ فِي «صحيحِهِ» عنِ ابنِ أَبِي مُليكَةَ قالَ: «أَدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ محمدٍ ﷺ كلُّهُم يخافُ النفاقَ علىٰ نفسِهِ؛ مَا منهم أحدٌ يقولُ: إنَّ إيمانَه كإيمانِ جِبريلَ وَمِيكائيلَ»[(١)].

وقالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تاللهِ لقدْ قطعَ خوفُ النفاقِ قلوبَ السابقينَ الأَولينَ؛ لعلمهِم بدقِّهِ وجلِّهِ وتفاصيلِهِ وجملِهِ، ساءتْ ظنونُهُم بنفوسِهِم حتَّىٰ خَشوا أنْ يكونُوا من جملةِ المنافِقينَ، قال عمرُ بنُ الخطابِ لحذيفةَ -رضيَ اللهُ عنهمَا-: يَا حذيفةُ، نَشدتكَ باللهِ، هلْ سمَّانِي لكَ رسولُ اللهِ ﷺ منهُمْ؟ قالَ: لَا، وَلَا أُزَكِّي بعدَكَ أَحدًا.

وذُكرَ عنِ الحسنِ البصريِّ: «ما أَمنَهُ إلَّا منافقٌ، ومَا خافهُ إلَّا مؤمنٌ».

ولقدْ ذُكرَ عنْ بعضِ الصحابةِ أنهُ كانَ يقولُ فِي دعائِهِ: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من خشوعِ النفاقِ»، قيلَ: ومَا خشوعُ النفاقِ؟ قالَ: «أنْ يُرَىٰ البدنُ خاشعًا والقلبُ ليسَ بِخاشعٍ».

---

(١) قبل حديث رقم (٤٨) في البخاري.

تاللهِ لقدْ مُلِئتْ قلوبُ القومِ إيمانًا ويقينًا، وخوفُهُم منَ النفاقِ شديدٌ، وهمُّهُم لذلكَ ثقيلٌ، وَسِواهم كثيرٌ منهم لَا يُجاوزُ إيمانهُم حناجرَهُم، وهم يَدَّعُونَ أنْ إيمانهُم كإيمانِ جبريلَ وميكائيلَ» .

الرِّياءُ والعملُ لغيرِ اللهِ:

إنَّ من علاماتِ ضعفِ التعلقِ باللهِ وقوةِ التعلقِ بغيرهِ أنْ يعملَ المسلمُ أعمالًا هيَ فِي أصلهَا منَ العباداتِ، ولكنهُ يقومُ بهَا لَا لِيُرضي من أمرَ بهَا، وإنمَا ليكتسبَ مكانةً عندَ الناسِ وسمعةً، وهذَا فِي غايةِ الخطورةِ.

والناسُ -علىٰ الحقيقةِ- لا ينفعونَ ولَا يَضرونَ؛ فلِمَ التصنعُ لهمْ؟! واللهُ هوَ الذِي يملكُ قلوبَ الناسِ، وهوَ قادرٌ علىٰ تَحبِيبكَ إليهم كلَّمَا أخلصتَ لهُ أكثَرَ، وقادرٌ علىٰ تبغيضِكَ إليهم كلَّمَا صرفتَ نيتَكَ عنهُ، فهوَ الغنيُّ الحميدُ ﷻ.

هذَا وإنَّ من أعظمِ مَا يُعينُ الإنسانَ علىٰ الإخلاصِ: معرفةَ اللهِ حقَّ المعرفةِ، والطمعَ في ثَوابِهِ، وَالخَوفَ من عِقابهِ، وعدمَ تعظيمِ الناسِ فوقَ مَرتبتهِم -فإنَّ هذَا أصلٌ عظيمٌ من أصولِ المعاصِي والذنوبِ-.

❀ ❀ ❀

الخَاتمةُ

إلىٰ الجيلِ الصاعدِ:

لِنتذكرْ أنَّ عقيدةَ المسلمِ ليستْ نصوصًا تحفظُ، ولَا أقوالًا يُجادلُ بهَا، وإنمَا هيَ إيمانٌ وخشوعٌ وإخباتٌ، وعملٌ وفاعليةٌ وحياةٌ، ويقينٌ وطمأنينةٌ ورضًا.

وإلىٰ طلابِ العلمِ، والقائمينَ علىٰ العملِ الدعويِّ والتربويِّ، والمشتغلينَ بالدرسِ العقدِيِّ:

إنَّ علينَا أنْ نغرسَ أصولَ العقيدةِ، والثوابتَ الكبرَىٰ فِي عقولِ الجيلِ، وأنْ نعتنيَ باللغةِ المُقنعةِ المُبرهنَةِ، وأنْ نحرصَ علىٰ تحقيقِ الأثرِ العقدِيِّ المرجوِّ من علمِ العقيدةِ، ألَا وهوَ الإيمانُ بالغيبِ، والتسليمُ للهِ ورسولِهِ، والانقيادُ لهمَا، وتحقيقُ العبوديَّةِ للهِ توكُّلًا وإنابةً واعتصامًا.

❀ ❀ ❀

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

❁ ❁ ❁

عقيدة المسلم ليست
نصوصاً تُحفَظ، ولا أقوالًا
يُجادَل بها، وإنّما هي
إيمان وخشوع وإخبات
وعمل وفاعلية وحياة
ويقين وطمأنينة ورضا

بقلم / احمد بن يوسف السيد